مظاهر الحياة الإسلامية في عهد السلطان غازان خان

(٦٩٤ـ ٧٠٣هـ = ١٢٩٤ـ ١٣٠٣م)

إعـــــداد

د. عفاف شامان الوذيناني

أستاذ التاريخ المساعد بجامعة الطائف

المملكة العربية السعودية

تاريخ الاستلام : ٢٠٢١/٩/٢٦م.

تاريخ القبول : ١/ ٢٠٢١/١١م.

ملخص:

يشير بحث (مظاهر الحياة الإسلامية في عهد غازان خان) إن عهد غازان لم يكن عهدًا عاديًّا كسابقيه من إيلخانات المغول، فقد كان عهدًا مباركًا، بدأ بإعلان إسلامه وإظهار شعائر الإسلام، وأسلم معه أربعمائة ألف شخص، من المغول وغيرهم.

وقد تولَّى غازان حكم مملكته لمدة أقل من تسعة أعوام، حاول فيها إعادتها إلى ما قبل مجيء أجداده المغول الذين أفسدوا فيها، فعادت أفضل مما كانت عليه، بفضل إخلاصه وتخطيطه واعتماده على وزراء مخلصين.

واستقل عن دولة المغول، وصك نقودًا جديدة عليها عبارة الشهادتين.

وعملًا بالشريعة الإسلامية ألغى غازان الإقراض بالربا، فاختفى المرابون. وحرم الخمر وجعل على السكارى عقوبة فانضبط المجتمع. وظهرت مظاهر الحياة الإسلامية في عهده؛ كما اعتنى بالحجاج وبأوقاف الحرمين الشريفين.

وقام بنشر العلوم الإسلامية والطبيعية التي تفيد الإنسان. وزيَّن عاصمته بأبنية فخمة، من مساجد ومدارس

عمل على دعم الأرامل، وكفالة اللقطاء، وتجهيز ودفن الغرباء. فقد تغيَّرت الحياة في بلاده من كل النواحي، إلى أفضل مما كانت عليه، بحيث ترسخت فيها شعائر الإسلام وآدابه، فكان إسلامه خيرًا وبركة على حياة المسلمين في بلاد فارس.

Abstract:

The research entitled, "Aspects of Islamic Life in the Era of Ghazan Khan" indicates that the era of Ghazan was not an ordinary era like its predecessors of Mongol Khans, it was a blessed era, that began with the declaration of Islam and the manifestation of the Islam rituals, four hundred thousand people of the Mongols and others, embraced Islam.

Ghazan ruled his kingdom for less than nine years, during which he tried to restore it as before the rule of his Mongols ancestors who had corrupted, then came back better than it was, due to his sincerity, planning and dependence on loyal ministers.

He became independent from the Mughal state, and issued new coins bearing the words of two testimonies.

In accordance with Islamic law, Ghazan abolished interest-based lending, so the usurers disappeared. Wine was forbidden and the drunks were punished, so the community was organized. Aspects of Islamic life emerged during his reign.

He also cared about the pilgrims and the endowments of the two Holy Mosques.

He published Islamic and natural sciences that benefit human. He decorated his capital with luxurious buildings, mosques and schools.

He worked to support widows, foundlings sponsorship, and prepare and bury strangers. Life in his country has changed in all respects to better than it was, so that the rites and etiquette of Islam were rooted in it, so his Islam was good and a blessing for the lives of Muslims in Persia.

مقدمة:

يُعدُّ السلطان محمود غازان خان أهم إيلخانات المغول تأثيرًا في الشرق الإسلامي، فقد أعاد الإسلام إلى المكانة التي كان يتبوَّؤها في بلاد فارس قبل غزوات جنكيز خان، كما كبح جماح الوثنية. وقد أسلم قبل سلطنته بأشهر قليلة، وكان واضحًا كل الوضوح منذ اللحظة الأولى لتسلم مهام سلطنته، حيث أعلن أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة، وأن دولته ستسير على الشريعة الإسلامية، وبدأ بنشر العلوم الإسلامية وعمارة المساجد والمدارس والحمامات، وغير ذلك من مظاهر.

ويُعَدُّ اعتناق غازان وخلفائه للإسلام واتخاذهم الدين الإسلامي دينًا رسميا للدولة؛ نقطة تحوُّل كبير في تاريخ المغول بعامة وتاريخ الإيلخانيين في إيران بخاصة، إذ كان فاتحة عصر جديد يختلف عن سابقه بمميزات في مظاهر الحياة؛ من تغيير للنظُم، ونبذ العادات الوثنية، فانعكست آثاره على الداخل الإيراني وخارجه(١).

ظل المماليك يُشككون في إسلامه بسبب حروبه معهم، وهم المدافعون عن الإسلام. مع أن احتكاكات الجيوش وحروبها كانت في أجواء التمرد والمؤامرات والدسائس؛ حيث كانت الحقائق غير واضحة، فهذه الأجواء جعلت من غازان مستعدًّا دائمًا للحروب؛ خوفًا على مملكته. ثم إن المماليك أنفسهم حارب بعضهم بعضًا، وتصارع بعضهم على امتلاك بعض البلدان. كما أن التشكيك نفسه كان نوعًا من الحرب النفسية. ولذلك لم يترك البحث مسألة التشكيك في إسلامه دون مناقشتها.

ولا شك أن الخطأ وارد في الطبائع البشرية، فقد أخطأ وأصاب، والذين يشككون في إسلامه لا يستطيعون التغافل عن مساعيه في نشر الدين الإسلامي الحنيف في مملكته، وإقامة شعائره، فإن ما قام به لا يدفع – على أي نحو– إلى التشكيك، بل يقود إلى التسليم بإسلامه، بل إنه – أيضًا– كان يقوم بدور التشكيك في تطبيق المماليك لشريعة الإسلام.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التاريخية حول إيلخانات المغول؛ ومنهم غازان؛ فإن أحدًا لم يُفرد – في حد علمي– بحثًا يُركِّز فيه على إنجازاته التي تخص نشر الدين الإسلامي وترسيخ مبادئه وإظهاره على الدين كله، وهي تُعَدُّ من أهم مميزات الحاكم المسلم الحريص على دينه، حتى لو كان جديدًا على هذا الدين. فقد أشار كثير من الدارسين إلى تأثيره في نشر الدين الإسلامي، لكن بطريقة مجملة لا تركز على هذا الموضوع؛ على أهميته؛ ولا تُبرز تفاصيله التي غطَّتْ مظاهر الحياة المختلفة، وترسخت فيها شريعة الإسلام، فجعلت أي حاكم مِنْ بعدِه لا يستطيع الرجوع عن إسلام هذه المملكة المترامية الأطراف، بعد أن عاث فيها المغول فسادًا، وبعد أن استقدم أسلافُه رجال ديانتهم الوثنية، وملأوها بمعابدهم وجعلوا المسلمين مستضعفين في الأرض، فعادت إليها مظاهر الحياة الإسلامية، بل صارت شعائر الإسلام تُقام في كل المدن والقرى، بمعنى أنها صارت راسخة أكثر من ذي قبل.

ولا شكَّ أن هذا البحث تسبقه دراسات، بل مصادر ومراجع وبحوث، لكننا فضَّلنا التركيز على مظاهر الحياة الإسلامية كما أصرَّ غازان خان على إظهارها. وأهم تلك الدراسات على الإطلاق الكتاب الذي أفردَهُ عنه مُعاصِرُهُ رشيد الدين الهمذاني "تاريخ غازان خان". ثم تأتي بعض الكتب الأخرى؛ مثل:

تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية – عباس إقبال– ترجمة: د. عبد الوهاب علوب. تاريخ الدولة المغولية في إيران– د. عبد السلام عبد العزيز فهمي.

وجاء هذا البحث ليجمع ما تناثر هنا وهناك، عن مظاهر اعتناء غازان بالشريعة الغرَّاء، حتى صارت مظاهر الحياة الإسلامية هي السائدة في عهده، ولكن بعد تخطِّي عقبة التشكيك في إسلامه، فجاء هذا البحث في مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد، ويعقبهما خاتمة.

فجاء التمهيد للتعريف بغازان ومعالم حياته. وتناول المبحث الأول إسلامه ومحاولات التشكيك فيه. أما المبحث الثاني فهو عن مظاهر الحياة الإسلامية في أرجاء مملكته. ثم جاءت الخاتمة لتجمع حصاد البحث. ثم أتبعتُ ذلك بالمصادر والمراجع، يليها ملحقان للبحث، يضُمَّان خطبتين لغازان، توضحان إسلامه الذي لا تشوبه شائبة، وكيفية مخاطبة الحاكم المسلم للرعية، بتواضع شديد وإيمان عميق.

وقد قابلتُ بعض الصعوبات في أثناء البحث، بسبب تكرار الأحداث في المصادر، فكان على الباحث أن يقرأ كل صغيرة وكبيرة عدة مرات حتى يجد مادته العلمية وسط سيل الأحداث؛ وخصوصًا تلك التي تتعلق باحتكاكات جيوش المماليك مع جيوش غازان، وتبادل الاتهامات، فلابد أن نقرأ روايتيْن لهؤلاء وهؤلاء، بحيث تحتاج الحرب الواحدة إلى دراسات وتحقيقات ميدانية لإدانة بعضهم وتبرئة آخرين. وظهرت أيضًا صعوبات تتعلق بضبط التواريخ، فحاولت بكل طاقتي التغلب على تلك الصعوبات وغيرها.

تمهيد: التعريف بغازان خان

هو غازان خان بن أرغون خان بن أباقا خان بن هولاكو. وينطق أيضًا: قازان[٢].

كان أكبر أحفاد هولاكو، والسابع من أسرة إيلخانات المغول في فارس[٣].

ولد غازان عام ٦٧٠هـ[٤]. وقد وصفه المؤرخون (سنة ٧٠١هـ) بأنه صاحب العجم والعراق والروم وديار بكر[٥]. وذكر بعضهم أنه ملكَ بلاد العراقيْن وخراسان وفارس والجزيرة وبلاد سلاجقة الروم[٦].

ولكن يُضاف إلى ما سبق: أذربيجان، فإنها من مملكته[٧].

لقد كان هولاكو قد أسس إمبراطورية تضم إمارات الجزيرة والأناضول والممالك المسيحية بجنوب قفقاسيا، وكانت البلاد الداخلة في قبضته تكاد تمتد من نهر جيحون

إلى البحر الأبيض، ومن قفقاسيا إلى المحيط الهندي. لكنه داخل هذه الحدود كوَّن في إيران مملكة خاصة به وبأبنائه من بعده، وحكمت أسرته حكمًا مستقلا تاما قرابة قرن من الزمان، من سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م إلى سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٦م(٨).

وقد قال غازان: "إن حدودنا وثغور ممالكنا هي: خراسان وفارس وبغداد وديار بكر وبلاد الروم ودَرَبَنْد"(٩).

وكان غازان أشقر مليحًا، رُبعة، خفيف العارضيْن، غليظ الرقبة، كبير الوجه(١٠).

وكان على علم قليل باللغة العربية، ولغات الصين والتبت، واللاتينية، فضلًا عن إتقانه المغولية والفارسية. وكان شديد الميل لمعرفة تاريخ السلاطين وآدابهم وأخلاقهم، خاصة من عاصروه منهم، وكان كلما صادف أحد الأجانب استعلم منه عن هذه الأمور كامل الاستعلام. وكان فنانًا، وله معرفة ببعض الصناعات اليدوية والحرف المختلفة؛ من قبيل المعمار والنقش والحدادة وصناعة الأسلحة، وقضى فترة من عمره في طلب الكيمياء، وفي جمع النباتات العجيبة. وكان يؤثر أهل الأدب والحكمة، وكان يجالسهم ويطارحهم الأسئلة، ولديه إلمام كافٍ بالأديان والمذاهب والملل والنحل، ويمضي كثيرًا من وقته في مناظرة الفرق الدينية المختلفة(١١).

ومن مظاهر اهتمامه بالكيمياء أنه كان له معمل في قصره، وكان يقضي فيه أوقاتًا طويلة بين أبحاثه العلمية(١٢).

وفاته:

توفي السلطان غازان وقت غروب الشمس يوم الأحد الحادي عشر من شوال سنة ٧٠٣هـ، فقيل إنه أُصِيبَ بحمَّى بعد أن علم بهزيمة جيشه في مرج الصُّفَّر؛ على مقربة من حمص. وقيل إن تأثر غازان بالهزيمة عظيم الأثر، إلى حد أن الدم نزف من أنفه لشدة غضبه(١٣).

كما قد اشتد الضيق به حين علم بمؤامرة ترمي إلى خلعه وتولية آخَر عرش المغول في إيران، فمات كمدًا(١٤).

وقيل إنه مات مسمومًا؛ سمَّتْهُ زوجته في منديل الفرش، لأنه أغارها. وكان في ناحية قزوين، وحُمِلَ إلى تُربته وقُبته التي أنشأها خارج تبريز، ودفن بها. فكان قد تغيَّر على أمراء المغول والمقدَّمين من أيام هزيمتهم، وشرع يهددهم ويعنفهم، فاتفقوا مع زوجته بلغان شاه على سَمِّه، وعُمِلَ له السُّم في منديل، وأعطته المنديل المسموم فتمسح به، فنزلت أمعاؤه وبطَل نصفُه. وقيل إنه كان قد خلص منها. وقد عولج كثيرًا، وانصلح مدة، وعاد عليه السم ومات(١٥).

كانت كسرة المغول شديدة، وجلس غازان ويقال إن غازان جلس وأوقف أمراءه، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله، فمازالوا به حتى عفا عنه من القتل، وأبعده عنه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه، ومسكه الحجاب، وقام إليه سائر من حضر– وهم خلق كثير جدا– وصار كل منهم يبصق في وجهه، حتى بصق الجميع، ثم أبعده عنه إلى جيلان. كما ضرب غازانُ بولاي عدَّة عصِيّ، وأهانه(١٦). ويبدو أن إهانة الأمراء بهذه الطريقة لم تمر دون التخلص من غازان كما مر.

وقبل موته استدعى جميع الأمراء والخواص وأركان الدولة وأعيان الحضرة، ونصح كلا منهم نصيحة لائقة ومناسبة لحاله، وجدد البيعة بولاية العهد لأخيه. وبعد ذلك كتب وصية وحث الأقران على مراعاتها بدقة(١٧).

وكانت مدة عمره اثنين وثلاثين عامًا وستة أشهر واثني عشر يومًا. وتولَّى الملك ثمانية أعوام وعشرة أشهر وثلاثة عشر يومًا(١٨).

المبحث الأول: إسلام غازان خان

عندما كان غازان في سن الطفولة كان جدُّه أباقا خان يربيه عنده ويرعاه، وصيَّر الكهنة الوثنيين ملازمين له ومعلمين. وعلى هذا رسخت الوثنية في ذهنه، خصوصًا أن هذا المذهب كان عقيدة لآبائه، وكانوا يسيرون وفق تعاليمه. وبعد أن توفي جده أرسله أبوه أرغون خان إلى خراسان للحكم وإمارة الجيش، فأقام هناك معابد فخمة للأصنام في مدينة خبوشان، وفيها كان يمضي أكثر أوقاته. حتى جاء الوقت الذي استولى فيه بايدو على المُلْك وبادر غازان بالعمل على انتزاعه منه، ثم أسلم، فأمر بإبطال شعار الأديان السابقة[١٩].

وكان غازان قد عرف شيئًا عن المسيحية، بفضل إقامته مع دسبينا خاتون؛ المسيحية النسطورية زوجة جده أباقا خان. وكانت هذه السيدة تطمع في إدخال الأمير المغولي الدين المسيحي، وكادت تنجح في خطتها لولا أن أباه أرغون خان ولَّاهُ إمرة خراسان وهو في العاشرة من عُمره، فاضطر إلى ترك دسبينا خاتون، والتوجه مع وَصِيِّه ومُربِّيه الأمير نوروز[٢٠].

كان بايدو خان حفيد هولاكو قد ثار على ابن عمه كيخاتو، فقُتِل كيخاتو، وحكم بايدو؛ الذي كان يُضمر الحقد على المسلمين ويعطف على النصارى. لكنه لم يستمر في الحكم طويلا، فلم يستمر حكمه إلا ثمانية أشهر، وقُتِلَ على يد غازان خان[٢١].

أولا- إسلام غازان ومن معه:

في شعبان سنة ٦٩٤هـ؛ أسلم ملك التتار غازان وأسلم غالب جُنده وعساكره، بخراسان بالقرب من الريّ. وتَسَمَّى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة[٢٢]. وعندما حلَّ رمضان صار مشغولًا بالطاعة والعبادة مع طائفة الأئمة والمشايخ[٢٣].

وفي ذي الحجة ٦٩٤هـ؛ تمَلَّك غازان خان. ودخل التترُ أو أكثرهم في الإسلام. وهو ما سيأتي تفصيله.

سبب إسلامه:

كان إسلامه بسبب نوروز التركي وزير غازان، زوج عمته، وهو من أمراء المغول، وقد كان مسلمًا يحفظ كثيرًا من الزهديات والأذكار، وله نيَّة جيدة ومحبة للإسلام وأهله(٢٤).

فقد نصحه نوروز بترك البوذية والدخول في الإسلام، كي يحصل على عرش أبيه أرغون خان، فرأى غازان تحوُّله إلى الإسلام ضرورة لاحتواء الحكم المغولي وسط محيط إسلامي(٢٥).

وقد وعده غازان بالدخول في الإسلام إذا وهب الله له النصر على خصمه بايدو، ولمَّا تم له ذلك برَّ بوعده، فأسلم(٢٦).

ولمَّا عاد نوروز وبقية الأمراء من لدن بايدو دون أن يُنجزوا مهمتهم؛ غضب غازان وظل يفكر في تدارك الأمر. وهنا طرح نوروز قضية إسلامه مرة ثانية بحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم ابن قطب الأولياء الشيخ سعد الدين حمويه، وكان يُلازم السلطان في أغلب الأوقات فيستفسر منه عن الدين الإسلامي وحقائقه، ويتباحث معه في هذا الشأن، فينشرح صدره للإسلام(٢٧).

لقد أسلم غازان بحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم بن سعد الله بن حَمُّوَيه الجويني، وعلى يديه(٢٨).

كان غازان أميرًا على خراسان، ولم يكن قد تملَّك هذه المملكة الكبرى، ويُروى أنه اغتسل في الحمام ولبس ثياب الشيخ سعد الدين الحموي، وصعد إلى أعلى القصر، حيث كانوا قد أقاموا حفلا في مكان فيه عرش أرغون، ووقف على قاعدة العرش بتواضع في الحضرة الإلهية، ولقَّنَهُ الشيخ صدر الدين إبراهيم الحموي كلمة الشهادة، وبدأ الأمير يقول كلمة الإخلاص وآمَن. وأسلم جميع رجال الجيش مجاملة له(٢٩).

وقد حرص الفقهاء على إسلامه، لأن من وراء إسلامه مصلحة كبيرة للمسلمين، ولذلك فإنه كان قد استضاف نساء أبيه إلى نسائه؛ على عادة المغول، وكان أحبهنَّ إليه بولوغان خاتون، وهي أكبر نساء أبيه، فخشي مَنْ حوله ارتداده وهو حديث عهد بالإسلام، حيث إنه بعد إسلامه؛ وقبل الاحتفال بسلطنته؛ أراد أن يتزوج من بولوغان زواجًا شرعيا(٣٠)، فقال له بعض خواصه: إن أباك كان كافرًا، ولم تكن بلغان معه في عقد نكاح صحيح، إنما كان مسافحًا بها، فاعقِدْ أنتَ عليها فإنها تحل لك، ففعل، ولولا ذلك لارتدَّ عن الإسلام. وقد علَّق ابن حجر العسقلاني على تلك الفتوى قائلًا: "وأستحسن ذلك مِن الذي أفتاه به، لهذه المصلحة"(٣١).

ثانيًا- حملة التشكيك في إسلام غازان خان

لم يشك المؤرخون المعاصرون لغازان في صحة إسلامه، فضلًا عن أن أعماله وأقواله بعد ذلك لم تدَع لهم مجالًا للطعن في صحة ما وثقوا به(٣٢).

وليس المقصود من مسألة التشكيك في إسلام غازان أنه لم يُسلم بالفعل، وإنما المقصود منها التشكيك في تطبيقه للإسلام وفي اجتهاداته، ومواجهته بتعاليم الإسلام الحقيقية.

وهناك بعض المسائل المرتبطة بتلك المسألة، منها قتل نوروز الذي كان سببًا في إسلامه، ومنها حروبه مع المماليك، ومنها علاقته بالصليبيين. وهذه المسائل متشابكة، فكأنها مظاهر لمسألة واحدة، لأنها تتعلق بعلاقة نوروز بالمماليك، وعلاقة المماليك ببلاد الصليبيين، وخلاصة الأمر تلك العلاقة السيئة بين غازان والمماليك. وسنناقش كل مسألة على حدة:

أ- قتل نوروز:

من الأمور الغريبة؛ أن غازان قتل الوزير نوروز الذي كان سببًا في إسلامه، عام ٦٩٦هـ، وكان نوروز هو الذي دعاهُ للإسلام فأسلم وأسلم معه أكثر التتر. وذكر

بعض المؤرخين سبب قتل نوروز، حيث رأوا أن التتر شوَّشوا خاطر غازان عليه، واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينتسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند غازان، وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته، وقصده الجيد، وأسلم على يديه منهم خَلْقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله(٣٣).

والتهمة التي التصقت بنوروز – سواءٌ أكانت صحيحة أو باطلة– هي أنه كان مستوحشًا من سلطانه غازان، وقام بمكاتبة السلطان لاجين، يطلب منه العون والمساعدة ضد غازان، إلا أن غازان اكتشف هذه المراسلات فأرسل إلى قطلوشاه نائب حران يطلب منه القبض عليه وقتله، وبعد ذلك قتل غازان أخويه وجماعة ممن كانوا يلوذون بهم في بغداد، حتى يقضي على كل معارضة(٣٤).

ولذلك يرى بعض الباحثين أن قتل غازان لنوروز بسبب رغبته في أن يكون الزعيم الأوحد(٣٥).

وإذا صحَّتْ مخاطبة نوروز للسلطان لاجين؛ فيبدو أنها كانت بعد أن قرر غازان إعدامه، فلمَّا أحسَّ نوروز بذلك "كاتَبَ الملك المنصور لاجين بأنه يقصد الانحياز إليه، والتمسَ منه تجريد عسكر ليساعده عليه، فوقعت كتبه في يد غازان، فأرسل إليه نائبه قُطلوشاه(٣٦) يأمره بأن يجرد جيشًا في طلبه، فالتجأ نوروز إلى صاحب هراة؛ وهو فخر الدين بن شمس الدين كرت صاحب سجستان، فقبض على نوروز وسلمه إلى قطلوشاه(٣٧).

فلم يكن قتل نوروز لأسباب دينية، لكن التنافس وأجواء التوتر التي افتعلها الأمراء حول نوروز هي التي كانت سببًا في التعجيل بمصير الأمير نوروز.

ب– حربه مع المماليك:

لم يكن موضوع النزاع بين غازان والمماليك خلافات دينية بين المغول ومسلمي مصر والشام كما كانت في أيام هولاكو وأباقا، لأن غازان صار مسلمًا، وإنما أدت المنافع والمصالح السياسية إلى ظهور الصراع بين الطرفين. فقد أراد مماليك مصر

إخراج بغداد عن يد المغول بعد أن استولوا بالتدريج على جميع الشام وسواحل البحر المتوسط من الصليبيين وبلغوا شاطئ الفرات الأعلى، وكانوا يريدون إحياء الخلافة العباسية بها، وقام غازان مدافعًا عن أملاك الإيلخانات واسترداد البلاد التي استحوذ عليها هولاكو وقُوَّاده من قبل(٣٨).

قبل غازان محمود؛ كانت هناك تجربة سابقة لحاكم مغولي هو تكودار أحمد بن هولاكو، الذي أسلم وأظهر رغبته في أن يعيش في سلام ومودة مع جيرانه المسلمين. فبدأ بمراسلة المماليك وأعلن لهم ذلك. والحق أنه لا يمكن إغفال أن دولة سلاطين المماليك بعد معركة عين جالوت؛ وحمص بعدها؛ قد غدت في مركز الزعامة في العالم الإسلامي، وأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تنتصر على عدوَيْن خطيرين: الصليبيين والمغول(٣٩).

والسؤال هنا عن الأسباب التي دفعت غازان؛ بعد اعتناقه للإسلام؛ إلى مهاجمة بلاد الشام ومعاداة سلاطين المماليك. حتى ترجم له بعض المؤرخين بأنه "أحد من أخرب البلاد وقتل العباد"(٤٠).

كانت البداية بسبب هروب مجموعة من العُويراتية (الأويراتية)(٤١) إلى مصر، سنة ٦٩٥هـ، بعد أن أعلنوا عصيانهم في وجه غازان، ووجدوا ترحيبًا بالغًا من السلطان المملوكي العادل كتْبُغا صاحب مصر، وحينما ثار سلامش نائب غازان ببلاد الروم، وأعلن خروجه عن طاعة غازان سنة ٦٩٨هـ، وذهب إلى مصر يطلب مساعدة السلطان المملوكي، وجد ترحيبًا كبيرًا من السلطان والأمراء. بل يُذكر أن السلطان كتبغا بالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وأمَّرَ عدَّةً منهم، وبقوا على كفرهم، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها، بل يُربَط الفرس ويُضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل. فأنِفَ الأمراء من جلوسهم معهم في الخدمة، وعظم على الناس إكرامهم، وانطلقت الألسنة بذم السلطان، حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد(٤٢).

ومعنى ذلك أن مصر صارت حينئذٍ مأمنًا لكل راغب في الخروج على سلطان المغول في إيران، مما جعل غازان يتخذ موقفًا عدائيا تجاه المماليك، ويستقبل هو الآخر الخارجين عن طاعة المماليك، فاستقبل الأمير قبجق نائب دمشق السابق وأصحابه الذين خرجوا على السلطان المملوكي لاجين(٤٣).

وغازان له ثلاث وقائع مع المماليك في البلاد الشامية، فأولها أنه طرق البلاد الشامية في سنة ٦٩٩هـ، فكانت الوقعة العظيمة بوادي الخزندار، والظفر لغازان، ودخل دمشق وخُطب له على المنبر، واستمرت من ربيع الآخر إلى رجب. وحصل لأهل الشام من سبي الحرم والذرية وتعذيب الخلق بسبب المال ما لا يوصف، وهلك خلائق من العذاب والجوع. والثانية حين عاد مرة أخرى سنة سبعمائة، فأوقع ببلاد حلب أشهرًا. والثالثة حين جهز قطلوشاه بالعساكر ليغزيهم على حلب وأمره أن لا يجاوز حمص، فلما حضر وجد العساكر قد تقهقرت، فجاز البلاد إلى أن وصل إلى دمشق، واستمر طالبًا مصر، فكانت الكسرة العظيمة عليه في وقعة شقحب، وذلك سنة ٧٠٢هـ(٤٤).

وإذا كان بعض المؤرخين ينقلون التشكيك في إسلام غازان خان بسبب حربه مع المماليك؛ فإنه أيضًا يُشكك في اتباع المماليك لتعاليم الدين الحنيف حين أعطى أهل دمشق عهد الأمان سنة ٦٩٩هـ، ولذلك فإن الحمية الدينية دفعته لإزالة عدوانهم، فقد قال في عهد الأمان:

"ولـمَّا أن سمعنا أن حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين، غير متمسكين بأحكام الإسلام، ناقضون لعهودهم، حالفون بالأيمان الفاجرة، ليس لديهم وفاء ولا ذمام، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام، وكان أحدهم إذا تولَّى سعر في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد. وشاع من شعارهم الحيف على الرعية ومدُّ الأيدي العارية إلى حرمهم وأموالهم، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف، وارتكابهم الجور والإعساف، حملتْنا الحمية الدينية والحفيظة الإسلامية، على أن توجَّهنا إلى تلك البلاد، لإزالة هذا العدوان، وإماطة هذا الطغيان، مستصحبين الجمَّ الغفير من

العساكر"[٤٥]. وصيغة هذا العهد طويلة، لا يمكن إيرادها هنا لطولها، وفيها الامتثال لأمر الله وما ندب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من العدل والإحسان.

لكن لمَّا امتنع مُتولّي قلعة دمشق عن تسليمها؛ بدأ جيش المغول دخول القرى وقاموا بالسلب والنهب والحرق، مما جعل أهل الشام جميعًا متمسكين بعدم تسليم القلاع الشامية، فلم يستطيعوا السيطرة على شيء منها[٤٦].

إرسال غازان الرسل ومعهم مكاتبة:

في نهاية سنة ٧٠٠هـ، أرسل غازان خان أربعة رُسُل إلى الملك الناصر؛ أميرًا وعالِمًا ورفيقين لهما، ومعهم مكاتبة تفيد معنى الصلح، يشرح فيها ما سبق من أخطاء شنيعة قام بها بعض العساكر الشامية، وقيام غازان وأتباعه بالرد عليهم. فقام الملك الناصر بالرد على رسالة غازان وتفنيد ما فيها، وتقبيح بعض ما فيها من وصف لما حدث منهم في السابق، وذلك في عاشر المحرم سنة ٧٠١هـ.

وذكَّره الملك الناصر بسلوك السلطان أحمد تكودار بن هولاكو، مع أبيه السلطان قلاوون، فقال: "وقد كان عمُّهم الملك أحمد راسلَ والدنا السلطان الشهيد وناجاه بالهدايا والتحف من مكان بعيد، وتقرَّب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب، وأتى البيوت من أبوابها، بحسن الأدب، وتمسَّك من الملاطفة بأقوى سبب"[٤٧].

ولم يترك الملك الناصر مسألة إسلام غازان خان دون التعليق عليها، فقد ذكر مؤاخذاته له حين قال: "إذا جنَحَ الملِك للسلم جنحنا لها، وإذا دخل في الملَّة المحمدية ممتثِلًا ما أمر الله به، مجتنبًا ما عنه نهى، وانتظم في سلك الإيمان، وتمسَّك بموجِباتِه، تمسُّك المتشرف بدخوله فيه لا المنَّان، وتجنَّبَ التشبُّه بمن قال الله عز وجل في حقهم: (قُل لا تَمُنُّوا علَيَّ إسلامَكُم بل الله يمُنُّ عليكم أنْ هَدَاكُمْ للإيمان) وطابَقَ فعلُه قوله، ورفضَ الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله، وأرسل لنا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلا، ويرُوق خطابه وجوابه، ...، صارت حجتنا وحجته مركَّبة على من

خالف ذلك، وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك في سائر الممالك، ومظافرتنا له تُكسِب الكافرين هوانًا..."[٤٨].

وفي سنة ٧٠٢هـ وصل رسل غازان إلى قلعة الجبل بالقاهرة، وقرئت كتبهم وسُمعت مشافهتهم، وكتب الجواب السلطاني إلى مرسلهم، وذهب معهم رسُل من الملك الناصر، واجتمعوا بغازان، ومنعهم من العود بسبب الوقعة بمرج الصفر وانهزام التتار، ولم يعُد الرسل إلا بعد وفاة غازان وتولّي أخيه خرْبَنْدا[٤٩].

وباستعراض الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بينهما[٥٠]؛ يتضح أن عقد الصلح بين المغول والمماليك أصبح بعيد الوقوع، فقد أوغر كتاب الملك الناصر صدر غازان، فلم يجد بُدًّا من مواصلة الصراع مع المماليك[٥١].

ويبدو أن طبيعة كل من المغول والمماليك النفسية حالت دون اتفاقهما، فهما يشتركان في صفات خشنة، وطباع قاسية، وشجاعة إلى حد التهور، ومن الواضح أن الصراع بينهما كان أمرًا طبيعيا بوصفهما جارِيْن آمَنَ كل منهما بفكرة الحرب ومبدأ الغزو، واتخذ هذا المبدأ محورًا لنشأته ومجالا لحياته[٥٢].

كما أن الجيش المصري هو الذي كان قد أوقف الزحف المغولي نهائيا بعد معركة عين جالوت، بعد أن اشتهر المغول بالتفوق في مستهل تاريخهم، فلم يعد بوسعهم اجتياز الحد الغربي (الفرات) الذي استقر وضعه سنة ١٢٦٠م، وقد صار مستحيلا أن تتقدم جيوشهم[٥٣].

في يوم السبت الثاني من رمضان سنة ٧٠٢هـ، عند مرج الصُّفَّر، كان السلطان الملك الناصر قد صفَّ جيشه، وأقبل جيش التتار، فهرب بعضهم من ملاقاة جيش الملك الناصر، ولجأ التتار إلى الجبل، وحاصرهم جيش الناصر، وانهزم التتار يوم الأحد الثالث من رمضان، وفروا راجعين، وفي يوم الاثنين رابع شهر رمضان خرج وراءهم بعض فرق جيش الناصر يقفون آثارهم، ورجع الملك الناصر إلى مشق وأقام فيها إلى خامس شوال، هو والخليفة، ثم وصل إلى القاهرة في الثالث والعشرين منه[٥٤].

ولا شك في أن هزيمة التتار كانت منكرة، وكان رد فعلها سيئًا للغاية على جيش غازان وعليه هو نفسه، فلم تهدأ النفوس بعد هذه الهزيمة، ولكن لا سبيل لمواجهة جيش الملك الناصر مرة أخرى، ففي سنة ٧٠٣هـ جُردت العساكر إلى العاصمة الأرمينية "سيس" وكان سبب ذلك أن طائفة من العسكر الحلبي دخلت إلى بلاد الأرمن للإغارة، فلما رجعوا كبسهم التتار ببلاد سيس، وسَلِموا، فرُسم بتجريد العساكر إليها من الديار المصرية ومن دمشق وحماة وحمص وحلب، فأغاروا ونهبوا وقتلوا وأسروا من ظفروا به، وفتحوا بلاد سيس، وتسلموا القلاع المجاورة لها، ووصلوا إلى دمشق في الحادي والعشرين من ذي الحجة، ورحل العسكر المصري في تاسع عشرين الشهر، ووصلوا إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية في المحرم سنة أربع وسبعمائة[٥٥].

وبتأمل تلك الوقعة واعتراض المغول لجيوش الناصر في بلاد سيس؛ فإنه يمكن تفسيرها بسوء ظن كبير على أن المغول كانوا يناصرون الصليبيين ضد المسلمين، لكن بمزيد من التأمل نعرف أن المغول كانوا مكبوتين بهزيمتهم ويعبرون عن مشاعرهم نحو هذا الجيش الذي هزمهم. ولا يمكن الجزم بتفسير ذلك على أنهم يناصرون الصليبيين على المسلمين. لأنَّ المؤرخين يربطون بين إسلام غازان وتخريب الكنائس وفرض الجزية ورد المظالم، ومن ذلك حكاية يوم إسلامه: "وتسمَّى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرَّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية، وردَّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد"[٥٦].

فقد قرر السلطان لاجين إرسال حملة عسكرية إلى بلاد سيس، لأنها كانت تخضع للنفوذ المغولي الفارسي[٥٧].

ولكن تتردد بعض الروايات أن الأرمن قد ألَحُّوا على غازان إلحاحًا شديدًا أن يُنقذهم من جنود فرعون (المصريين) وقالوا إنهم يأتون من سورية كل عام يأسرون وينهبون ويسفكون دم الجنود المساكين من أرمينيا وفلسطين وبين النهرين وآشور والقطائع، وكانوا ينشرون الذعر في بلاد صقلية بصورة لا يمكن للكلمات أن تصفها،

ولقد قاسى هؤلاء الأرمن بسببهم حتى أعطوهم في النهاية نصف بلادهم، كما كانوا يدفعون لكل أمير جزية في شكل كميات كبيرة من الذهب والبغال والخيول والشعير والشوفان. وتوسل الأرمن لغازان أن يمد لهم يد المساعدة وينقذهم من الطغيان الفرعوني. ويقال إنه استجاب لتوسلاتهم(٥٨).

بداية الفتنة بين المماليك والمغول:

سبق أن ذكرنا أن الخصم الرئيسي لغازان كان بايدو، وكان غازان قد وعد بدخول دين الإسلام إذا نصره الله على بايدو، وقد تم له ذلك، وأسلم. لكن بايدو كان معه جيوش أيضًا، فلمَّا تسلطن غازان كان الملك العادل كتْبُغَا قد تسلطن على مصر والشام، ووصل إلى دمشق سنة ٦٩٤هـ عسكرٌ كثير؛ نحو عشرة آلاف بيت من عسكر بايدو، طالبين الدخول في الإسلام، خوفًا من السلطان غازان، ومقدَّمهم أمير اسمه طَرْغَاي، وهو زوج بنت هولاكو، فأمر الملك العادل أن يتلقاهم أمير دمشق، وحضر إلى مصر جماعة من أعيانهم، وأكرمهم الملك العادل ورتَّبَ لهم الرواتب(٥٩).

بالإضافة إلى قدوم طائفة التتر الأويراتية سنة ٦٩٥هـ، وإكرامهم؛ وهم على كفرهم؛ كما أوردنا من قبل.

أسباب وقوع الفتنة العظيمة:؟

في فترة حكم السلطان لاجين دبَّت بوادر الفتنة بين غازان خان والمماليك، سنة ٦٩٧هـ، لم يبدأها غازان ولا لاجين، وإنما نائب لاجين بالقاهرة؛ وهو الأمير منكوتمر؛ ونائبه بالشام قفجق (قبجق). أما منكوتمر فيروي المؤرخون كثرة دعاء الناس عليه، بل رأوا أنه من سيئات الدهر، قبيح السيرة، ظالم الصورة، فجمع بين قبح الفعل والشكل. وقيل عنه: كان صبيَّ العقل عظيم الكِبْر طامع النفس في الملك. وقد فوَّض لاجين جميع أمور المملكة، فاستبدَّ هذا الأمير بوظائف الملك ومهماته، وحسَّن للسلطان لاجين بأن يقبض على جماعة من الأمراء، فقبض بالفعل على بعض الأمراء وأرسلهم إلى السجن بالإسكندرية. وأرسل بالقبض على قفجق؛ نائبه بالشام، فلما تحقق قفجق

ذلك خرج من الشام هاربًا، وأخذ معه جماعة من الأمراء الذين كانوا بدمشق، في نحو خمسمائة فارس، وتوجهوا إلى السلطان غازان ملك التتار، وكان هذا سببًا لوقوع الفتنة العظيمة(٦٠).

وفي نفس السنة قُتِلَ السلطان حسام الدين لاجين، حيث وثب عليه الأمراء بمصر فقتلوه(٦١).

وكان منكوتمر يرغب في التخلص من الأمراء في مصر والشام وإقامة غيرهم، وكان يطمع في أن يكون ولي عهد السلطان لاجين(٦٢).

وفي سنة ٦٩٩هـ؛ في فترة السلطان الناصر محمد بن قلاوون؛ زحف السلطان غازان على الشام، وكان سبب مجيئه أن قفجق؛ نائب الشام الذي أقام عنده؛ حسَّن له أن يزحف على البلاد ويملك البلاد الشامية من غير مانع، فإن السلطان صغير السن، والأمراء في خلف بينهم، وأنه إذا زحف فلن يجد من يقابله، فجمع غازان العساكر، فاجتمع معه نحو من مائتي ألف مقاتل. ولمَّا خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء والعسكر كانت بينهم وبين التتر وقعة عظيمة، وقُتل من الفريقين ما لا يُحصى. وانكسر عسكر السلطان الناصر، ونهب جيشُ غازان ما في ضِياع الشام. وفي ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة رحل غازان عن دمشق، وولَّى قفجق نائب الشام كما كان أولًا. وهذا ما كان من أمر غازان(٦٣).

فقد كان لجوء الأمراء إلى غازان سببًا في غزو بلاد الشام، ليس المقصود اللجوء نفسه، وإنما تشجيع هؤلاء الأمراء غازان على غزو بلاد الشام، نتيجة لسوء العلاقات بين السلطان المملوكي وهؤلاء الأمراء، ونتيجة لاضطراب البلاد بسبب تغير السلاطين(٦٤).

وبعد أن حصل قفجق على منصبه السابق، استعد السلطان الناصر لملاقاة جيش غازان ودخول دمشق، فخرج قفجق وأعلن طاعته للسلطان وباس الأرض، ونصح بأن يرجع السلطان إلى القاهرة ولا يدخل إلى دمشق، فإن في ذلك عين المصلحة، ورأى

السلطان أن ذلك صواب، ولم يؤاخذ الأمراء الذين كانوا قد هربوا إلى غازان، رجع أوائل شهر رمضان من سنة ٦٩٩هـ[٦٥]. فقد ظهر أن رأس الفتنة النائبان: منكوتمر الذي كان يريد أن يكون ولي العهد للسلطان لاجين، وقفجق الذي كان يريد أن يستمر نائبًا على الشام. تلك الفتنة أبادت كثيرًا من ممتلكات المسلمين ومات فيها كثير من الخلْق، وتسببت في التشكيك في إسلام غازان لحربه مع المماليك الذين كانوا رمز الجهاد بالنسبة للمسلمين، مع أن المتسبب في تلك الفتنة بعض المماليك.

فقد خان قفجق الملك الناصر أولا، ثم خان غازان ثانيا، ولكن يبدو أن الناصر قد رحب بتوبته ليكون له عضدًا ضد المغول[٦٦].

وتسبب في توترات جعلت الشائعات تسري بين جناحي الأمة الإسلامية، وقد ذكر مجموعة من المؤرخين رواج بعض الشائعات التي تتسبب في الخوف، ثم يتبين أنها غير صحيحة. ومنها ما ذكره أحد مماليك قفجق؛ حيث حضر إلى دمشق وأخبر بأشياء لم يصح منها شيء[٦٧].

جـ- العلاقة مع أوربا المسيحية:

تُوصف علاقة السلطان غازان بدول أوربا المسيحية بأنها تدل على حنكة سياسية وبراعة دبلوماسية. فقد حاول اتباع سياسة أسلافه في إيجاد تحالف عسكري مع الدول الأوربية ضد المماليك، فأجرى اتصالات مع الإمبراطور البيزنطي، وملك فرنسا، وملك إنجلترا، وملك آرجوان (جزء من إسبانيا الحالية)، وكانت بينه وبينهم مراسلات وبعثات، إلا أن جهوده في هذا المضمار لم تأتِ بنتائج إيجابية، لعامليْن أساسيين: الأول إسلام مغول إيران، والثاني انشغال الدول الأوربية بمشاكلها الخاصة، وانصرافهم إلى المخاصمات والعداوات وفتور الناحية الصليبية عندهم آخر الأمر[٦٨].

ويمكن اعتبار تلك العلاقات نوعًا من المهادنات التي كان يمكن أن تكون بينه وبين المماليك أيضًا منذ بداية حكمه، أسوةً بسابقه أحمد تكودار بن هولاكو، فقد فعلها مع المماليك، ولذلك لم تظهر بينهم أي خلافات.

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الإسلامية في عهده

كانت بلاد فارس من البلاد الإسلامية قبل الغزو المغولي لها، وبعد الغزو صارت هناك منافسات بين طوائف مختلفة وديانات مختلفة، فلما أسلم غازان وجعل الإسلام هو الدين الرسمي للدولة خفتت الأصوات المنافسة، وصار معظم من حوله من المسلمين، وأظهر شعائر الإسلام إلى الوجود مرة أخرى، وأراد أن يعيد مملكته إلى سابق عهدها قبل مجيء أجداده، فصارت الحياة الإسلامية في مملكته أشد سطوعًا.

دخول المغول والتتار الدين الإسلامي:

لمَّا أسلم غازان أسلم معه سبعون ألفًا من أكابر المغول وصناديد التتار، وقيل: أربعمائة ألف نفس، ولا منافاة بينهما، فإن الأول محمول على العساكر والأمراء الأكابر، والثاني محمول على العامة. وبإسلامه استوعبت أنوار الإسلام جميع طوائف التتار، وانتشرت إلى جميع الأقطار(٦٩).

الدين الرسمي للدولة:

انتصر الإسلام الذي اعتنقه غازان؛ حين جعله الدين الرسمي للدولة؛ انتصارًا مبينًا على الوثنية المغولية، كما بدأت الدولة الفارسية في عهده تستعيد استقلالها، كما أعاد الإسلام إلى المكانة التي كان يتبوَّؤها في بلادهم قبل غزوات جنكيز خان(٧٠).

كان المغول ينعمون بوثنيتهم، كما كان المسيحيون يضطهدون المسلمين. وقد أسلم مِنْ قبلُ الإيلخان تكودار أحمد (ابن هولاكو)، لكنه لم يفرض الإسلام على رعاياه، ولكنَّ غازان فرضه فرضًا على جميع سكان البلاد حين جعله الدين الرسمي. ومنذ ذلك الوقت أخذ الإسلام ينتشر انتشارًا سريعًا في دولة إيلخانات المغول في فارس، وضاع ما كان يؤمله المسيحيون من انتصار على الدين الإسلامي، كما ضاعت مجهوداتهم السابقة في الدعوة لهذا الدين(٧١).

لقد كان اعتلاء غازان للعرش نقطة فاصلة في تاريخ دولة المغول في إيران، ففي أثناء اعتلائه العرش أعلن عن اعتناقه للديانة الإسلامية رسميًّا. وقد بقي جميع حكام إيران الذين تلَوْهُ مخلصين لهذا الدين(٧٢).

إبطال الوثنية:

كان المغول هم الذين استقدموا الكهان الوثنيين وأقاموا المعابد الوثنية في هذه البلاد الإسلامية، وكان غازان نفسه وثنيا قبل إسلامه، وبسبب غلوه في تلك العقيدة أقام معابد عالية للأصنام في خراسان(٧٣).

وحين دخل غازان الإسلام أمر بتحطيم كل الأصنام، وتخريب كافة معابدها، وهدم بيوت النار والمعابد الأخرى التي لا يجوز وجودها شرعًا في بلاد المسلمين، كذلك أدخل أكثر جماعة الكهنة عُبَّاد الأصنام في الإسلام(٧٤).

إظهار الإسلام وشعائر الإيمان:

لقد كان غازان حقا مُظهِر الإسلام وشعائر الإيمان(٧٥).

ووضع العمامة هو كافة الأمراء في منتصف المحرم سنة ٦٩٧هـ(٧٦)، بدلا من الخوذة المغولية(٧٧).

الخطبة باسمه وبألقابه:

كان يُخطب على المنبر بألقابه، وهي: السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان(٧٨). ويقال إن لقبه معز الدين(٧٩).

وبعد أن أسلم مباشرةً حضر الجمعة، بل إنه أسلم في شعبان وعندما حلَّ شهر رمضان صار مشغولًا بالطاعة والعبادة مع طائفة الأئمة والمشايخ(٨٠).

بث روح الأُخُوَّة الإسلامية:

ردَمَ غازان الهوَّة السحيقة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين بسبب الاختلاف الديني، ونَعِمَ الجميع بأخوَّة الإسلام، وبدلا من المقاومة السلبية التي ظلَّ المسلمون يواجهون بها حكامهم الوثنيين؛ حلَّ تعاون إيجابي

من جانب الرعية، فأُزيلت الحواجز الجنسية والطبقية الفاصلة بينهما، مما ساعد على فقدان الطبقة الحاكمة لمميزاتها، واندمجوا أكثر فأكثر في الحضارة الإسلامية(٨١).

ويبدو ذلك من خلال خطبة ألقاها غازان في بداية احتفال سنة ٧٠١هـ، في مدينة أوجان، وقام بدعوة السادات والأئمة والمشايخ والقُضاة والصالحين، وبالتبعية دعا أهل الأمم من الطوائف الأخرى، ثم توجه إلى الجميع وخاطبهم، وساق على لسانه حديثًا دقيقا في باب الحكمة والمعرفة، وكان ينصح طبقات الناس ويعظهم، وصار يشكر النعم والآلاء الإلهية(٨٢).

كان غازان يقوم بنفسه بالدعوة للإسلام في المناسبات الدينية؛ تلك التي احتفل بها لأول مرة منذ توقفها في عهد هولاكو، وكانت إجادته للغة الفارسية التي كان يتكلمها بطلاقة مع خواصه، وفهمه لأكثر ما يُقال باللغة العربية؛ سببًا في أن يتمكن من نقل الديانة الإسلامية إلى المغول بلغتهم. حتى إنه كان يقف لهم موقف الواعظ والمرشد والمعلم، يخاطبهم بالمغولية، ويشرح لهم كتاب الله وسنة رسوله، والآداب الإسلامية، حتى هداهم الله على يديه(٨٣).

البسملة على المناشير:

أمر غازان أن يُكتب على الرسائل والمناشير والمراسيم الديوانية عبارة البسملة(٨٤).

استقلال دولته الإسلامية عن المغول:

كان غازان أول من خرج من بين إيلخانات فارس عن طاعة الخان الأعظم، بعد أن تحوَّل إلى الإسلام وأعلن استقلاله. وكانت إيلخانات فارس إلى ذلك الوقت مجرد عمال إقطاعيين تابعين لخاقان منغوليا والصين. حتى لقد أصبح عهده يُسمَّى عهد غازان(٨٥).

اللغة الرسمية:

في عهد غازان وصلت اللغة الفارسية إلى أن تكون- إلى جانب اللغة التركية- لغة الديوان الرسمية، وأيضًا اللغة الدولية. ولم ينتصر غازان للغته المغولية، لأنها كانت تعوزها المرونة والطواعية، ولم يكن هناك مجال لنشوء حياة فكرية مستقلة بين المغول، فأقبلوا على الفارسية وتراثها وعلى الإسلام وحضارته، حتى أصبحوا قوة جديدة للإسلام والمسلمين(٨٦).

إصلاح الإدارة المالية:

عُرف عن غازان أنه كان إداريًا ممتازًا ومصلحًا اجتماعيًا عظيمًا. ذلك أنه أدخل الكثير من ضروب الإصلاح في الإدارة المالية، وشجَّع النمو الاقتصادي في إمبراطوريته. وكان الخراج يُفرض – حتى عهده – وفقًا لأهواء الحكام من المغول وعمالهم من الإيرانيين. فلمَّا آلَ الحكم إليه أمر بأن تُمسح الأراضي كلها من جديد، وأن تُتَّخَذ نتائج ذلك أساسًا في فرض الضريبة(٨٧).

صك نقود جديدة عليها الشهادتان:

وتعد فترة حكم غازان فترة مثالية في إصلاح الدولة عامة وإصلاح النقد والأوزان والمكاييل خاصة. فقد أمر بتوحيد عيار النقود الذهبية والفضية، وجمع النقود المزيفة ليعاد سكها مرة ثانية بعد تصحيحها(٨٨).

كما كان من مظاهر استقلال غازان عن دولة الخان الأعظم أنه قام بصك نقود جديدة(٨٩).

وقد تحدَّد موقف الإيلخانية من تبعيتها للخاقان المغولي الوثني الذي كانت له السيادة الاسمية، فقد انتهت هذه التبعية وأزيل اسمه من على النقود، وقُطع ما كان يُدفع له سنويا من حقوق على شكل هدايا وغيرها. وتحولت العلاقات بين الدولتين

الإيلخانية والخاقانية إلى علاقات تكافؤ ومساواة، وقائمة على أساس من المصالح المتبادلة(٩٠).

ونقش غازان عبارة الشهادتين على النقود، بدل اسم (قا آن)(٩١).

واعتقد بعض الباحثين أنه أمر بكتابة أسماء الخلفاء الراشدين على السكة(٩٢). لكن الواقع أن هذا تم بعد غازان، حيث كتب غازان الشهادتين فقط على العُملة، كما كتب بعض الآيات القرآنية(٩٣).

ويُستفاد من النقود المضروبة في عهده أنه تطلَّعَ إلى الاستقلال عن الخان الأكبر المقيم في بكين، وكان من قبل يُعمَل باسمه(٩٤).

وأدخل غازان روحًا جديدة من الثقة في الميدان التجاري والاقتصادي، بأن أَلْغَى الأوراق المالية ذات القيمة التحكمية الرجراجة، والتي سبق لسلفه استحداثها على الطريقة الصينية، وأحلَّ محلها نقدًا معدنيًا صحيح الوزن والقيمة. وكان لهذه التدابير أثرها الواضح في زيادة موارد الدولة(٩٥).

منع الإقراض بالربا:

عندما وصل غازان إلى الحكم أمر بعدم إقراض الناس بالربا، فكفَّت الجماعات الربوية عن التعامل به، واختفى المرابون وانصرف كل منهم إلى حرفته الأولى، وكان الأشخاص الذين يتعاملون بالربا أكثرهم من المغول والأويغور، فيقع المدينون في ذل أسْر مدينيهم مع نسائهم وأموالهم؛ ومنهم المسلمون؛ فزالت تلك المذلة عن أهل الإسلام(٩٦).

فقد عَمَّمَ أمرًا على جميع البلاد نهى فيه عن الربا وفوائد المال نهيًا تامًّا، كما أمر بعقاب من يعصي الأمر(٩٧).

تحريم الخمر وعقوبة السكارى:

كان أكثر الناس في عصر المغول قبل غازان منهمكين في العربدة وشرب الخمر وتناول المسكرات والعبث بسبب سكرهم في الأسواق والمجتمعات، فيؤذي بعضهم بعضًا. ولمَّا كانت الخمر في الإسلام هي أم الخبائث أو أم الكبائر، ووجد غازان أن النصوص قطعية التحريم، وأنه لن يستطيع منعها تمامًا؛ فقد قرر أن يكتفي بالقبض على كل شخص يجدونه ثملًا في المدن والأسواق، وأن يُعَرَّى ثم يُربط إلى شجرة وسط السوق حتى يمر عليه الناس ويوبخوه فيتنبه وينزجر. فأصدر مرسومًا وأرسله إلى أطراف الممالك. وبهذا قضى السلطان على الفساد الناجم عن احتساء الشراب وعلى مشاجرات السكارى وخصوماتهم في الأسواق والمجتمعات(٩٨).

سياسة التدرج في إلغاء الدعارة:

رأى غازان أن فتح المواخير وإجبار العاهرات على السكنى فيها لممارسة الرذيلة أمر محظور ومذموم، ومخالف لأحكام الشريعة. ورأى أن يتدرج في علاج هذا الوباء. وبناءً عليه فقد صدر مرسوم يقضي بأن كل جارية لا ترغب في ممارسة الرذيلة في بيوت الدعارة لا تُباع إلى جماعة المشرفين عليها، أما المقيمات في هذه البيوت فإن كل من تريد المغادرة لتعيش عيشة شريفة لا تُمنَع من ذلك، ويُحدد لها ثمن تُشترى به، وتُزوج من الزوج الذي يقع عليه اختيارها(٩٩).

وبهذا يكون غازان قد أغلق باب الإكراه على البغاء، وفتح باب زواج الفتيات، فقام بتفكيك منظومة البغاء في ذلك المجتمع الإسلامي.

مسجد وحمَّام لكل قرية:

لقد أصدر غازان أمرًا كان كفيلًا بإظهار أعداد كبيرة في المدن والقرى لشعائر الإسلام، فتترسخ المظاهر الإسلامية في المجتمع. حيث لا يخفى أن احتياج الناس إلى

الحمامات والمساجد من الأمور الضرورية، وفي بعض ولايات الممالك لم يُبْنَ في القُرى شيء من كلا النوعيْن، ولم يُدبِّر ملوك الإسلام ذلك من قبل. فالأهالي لا يُقيمون صلاة الجمعة، ولا يتيسر لهم غسل الجنابة أو النظافة. وقد أصدر غازان مرسومًا يقضي بإقامة مسجد وحمام في كل قرية من قُرى كل الممالك، ويعتبر مجرمًا وآثما من لا ينفذ هذا الأمر. وخلال ما يقرب من عامين أقيمت في كل البلاد المساجد والحمامات، في الأماكن التي لم يكن فيها مساجد ولا حمامات. وتلك الحمامات تُحصَّل منها أجور مرتفعة، فأمر السلطان بأن يُنفَق منها على ما يلزم تلك المؤسسات، وعلى شئون المساجد من تعمير وفرش وإنارة وصرف أجور للخدم(١٠٠).

فمن خلال استمرار وجود النفقات يكون بهذا قد ضمن استمرار عمل المساجد والحمامات، واستمرار إقامة الشعائر الإسلامية في كل أرجاء مملكته.

إظهار العدل ورَد المظالم:

وصف بعض المؤرخين غازان بأنه فشا الإسلام بإسلامه في ممالك التتار، وأظهر العدل(١٠١). وردَّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد(١٠٢).

فلقد تهدَّد وضع البوذيين الذين جلبهم المغول، ولم يعودوا يجدون أي دعم بعد اعتلاء غازان العرش، وحُوِّلت المعابد البوذية إلى مساجد، وأعيدت الأملاك الإسلامية السابقة إلى أصحابها(١٠٣).

وقد حاول غازان أن يُعوِّض بلاد الفرس من بعض ما خسرته بسبب الجرائم التي اقترفها أسلافه فيها. وأمر بإسقاط الضرائب عن كاهل البلاد(١٠٤).

وقد أصدر مرسومًا بدَخْل الولايات الذي يكتبه الديوان بالتفصيل، إلى جباة الضرائب والملوك والنواب والحكام والقُضاة والسادات والأئمة والصدور وملاك الأراضي والأعيان الرؤساء والعُمد وعموم الرعايا وأهالي المدن والبلاد من ضفاف نهر جيحون

إلى تخوم الشام والإفرنج، يقول فيه: "إن كل همتنا وتفكيرنا ونظرنا كان موقوفًا على أن تكون هذه الأيام المعدودة من العهد المبارك لسلطتنا سائرة بمقتضى نص الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[١٠٥]، وبموجب قوله تعالى أيضًا: ﴿فاحكُمْ بين الناس بالحق﴾[١٠٦]، فننهض لإزالة أنواع الظلم والتعدي والجور واستبداد المستبدين والظالمين الذين اعتادوا ذلك بمرور الزمن... فجعلوا دماء المسلمين وأموالهم رزقًا وطعمة لهم، فعلينا أن نقضي على ذلك قضاءً مبرمًا"[١٠٧].

وقد قام غازان بإصلاح الخزانة ووجوه الصرف والعطاء، فعندما تربع على سرير السلطنة كانت خزائن آبائه وأجداده خالية من الأموال، والولايات خربة مختلة إلى أقصى حد، وأموال الديوان عرضة للنهب والتلف، وتحصيل الضرائب أمر متعذر. لكنه بعد عامين؛ عندما فرغ من ترتيب شئون المملكة والقضاء على الأشخاص الذين دأبوا على إثارة الفتن والعصيان؛ اشتغل بتدبير شئون الولايات وترتيب الأمور المتعلقة بضبط الأموال وتحصيل الضرائب، وكان يجلس بنفسه كل يوم من الصباح الباكر حتى المساء يُصحح بقلمه المسودات الجديرة بالتسجيل، ووضع لها قانونًا[١٠٨].

تنظيم القضاء:

أعاد غازان تنظيم القضاء في فارس، بعد أن عبث به العُرف المغولي، وكان هذا العرف ساذجًا جدًّا، غير محدود دائمًا، وأعاد للشرع الإسلامي سلطانه وقوته. كذلك أنشأ محكمة عليا مشتركة للقانونين الفارسي والإسلامي[١٠٩].

وكان غازان أول حاكم مغولي بعد جنكيز خان يُحسن استخدام الياسا[١١٠]، وقد حاول في بداية حكمه نشر الكثير من رسومها وآدابها على أنها تراث آبائه وأجداده، إلا أنه وجدها غير مستحسنة وتتعارض مع أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فأعاد للشرع الإسلامي سلطانه وقوته، وأنشأ المحكمة العليا[١١١].

لكن يبدو أنه لم يتخلص من الياسا تمامًا، فإنها ظلت تُستخدم في نطاق التحقيق مع أفراد الجيش(١١٢).

وقضى السلطان غازان على الوثائق المزورة والدعاوى الباطلة وأزال خيانة من لا أمانة لهم، بل منع طائفة القُضاة والخطباء الذين لم يكونوا على علم تام بالعلوم الشرعية من تحرير المطالبات والوثائق، وكلف جميع القضاة بأن يحرروا المطالبات بطريقة واحدة، بحيث تُراعَى جملة الدقائق الشرعية. وأصدر غازان مراسيم تتعلق بالأحكام والقوانين المنظِّمة لذلك، منها: مرسوم تفويض القُضاة النظر في شئون القضاء، ومرسوم بخصوص عدم إعادة النظر في القضايا العقارية التي مضى عليها ثلاثون عامًا، ومرسوم بخصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع، ومرسوم بخصوص قانون الوثائق الذي اتفق عليه جميع أئمة العصر(١١٣).

الاعتناء بالحجاج وأوقاف الحرمين:

كان غازان يمد الحجاج دائمًا بإعاناته(١١٤). وقد بلغه أن ملوك مصر والشام كانوا يُنفقون ريع أوقاف الحرمين وسبيل الحجاج؛ في أغراضٍ تتعلَّق بتصريف مصالح الجيش والديوان، وكانوا يجيزون صرفها. ولهذا نذر أن تُصرَف أموال هذه الأوقاف في الأغراض التي خُصصت لها(١١٥).

نشر العلوم الإسلامية والطبيعية:

كان غازان نصيرًا للعلم والأدب، فشجَّع دراسة العلوم الإسلامية، ونشر الفنون والصناعات والعلوم الطبيعية، وبخاصة فن العمارة وعلم الفلك وفن التعدين وعلم النبات، ووقف على أحوال الأقاليم الغربية التي استمدَّها من الرسل الصينيين والهنود والمصريين والإسبان، والإنجليز، وغيرهم ممن تردَّد على بلاطه(١١٦).

وقد اشتهر غازان بالعمران، فقد زين عاصمته تبريز بأبنية فخمة، منفقًا أموالا طائلة على المساجد ودور العلم، وشيَّد مرصدًا فلكيًّا، ومدرسة للعلوم الدنيوية التي كان هو وغيره من الملوك المغول يقدرونها تقديرًا خاصًّا لما لها من الفوائد العلمية(١١٧).

تحفيظ القرآن الكريم:

كان الأيتام البالغ عددهم دائمًا مائة يتيم سنويًّا؛ يُدرَّس لهم القرآن الكريم، وتُقدَّم العيدية لمائة طفل يكونون قد حفظوا القرآن الكريم ويعملون بالسُّنة، ثم يحضر بدلا منهم مائة آخرون. ويُشترَى مائة مصحف جديد كل سنة. مع مرتبات لخمسة معلمين وخمسة رقباء يُلازمون الأطفال، وخمس من النسوة يقُمن على رعايتهم، مع نفقات الفرش وإعداد المكتب وما تدعو الحاجة إليه(١١٨).

الاعتناء بالمخطوطات:

سبق الحديث عن شراء مائة مصحف جديد لمائة طفل في مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، فكتابة مائة مصحف عمل ضخم في تلك الأيام، لأن الخطاطين يقومون بنسخ كل مصحف على حدة، وهذا يخص الأطفال فقط من حفظة القرآن، لكن غازان كان له اهتمام بالعلوم، لذا أنفق على نسخ المخطوطات العلمية. ولا يُعرف هذا العمل على وجه الدقة، لكن أقدم المخطوطات المصورة المعروفة من العصر المغولي نسخة إيرانية من كتاب (منافع الحيوان) لابن بختيشوع، محفوظة في مكتبة مورجان بنيويورك، وتذكر الكتابة التي عليها أنها نسخت في مراغة بأمر السلطان غازان خان سنة ٦٩٩هـ. ويظهر من الأربع والتسعين صورة التي تحويها هذه المخطوطة أنها من رسم عدة فنانين(١١٩).

ويمكن اعتبار هذه المخطوطة حلقة الاتصال بين الأساليب الفنية في المدرسة السلجوقية وفي المدرسة الإيرانية المغولية التي خلفتها(١٢٠).

المنشآت الإسلامية وأوجه البر في عهد غازان:

المساجد والخوانق والمدارس:

كان غازان يقيم في كل موضع الخوانق والمدارس والمساجد وأبواب البر الأخرى، ويخصص لها الأوقاف، ويقرر الوظائف والمرتبات لكل طائفة(١٢١).

القبة العالية:

أنشأ غازان قبة خارج تبريز، يقام بها أنواع من أوجه البر، وكانت عمارتها مضلعة باثني عشر ضلعًا. وأوقف لها أوقافًا منصوصًا عليها في وقفيته(١٢٢).

وهذا المكان جعل فيه كثيرًا من أبواب البر، مثل: مدرسة، وخانقاه، ودار الحديث، ودار القرآن، وبيمارستان، ومكتب للأيتام، ومدفن له(١٢٣).

الجامع الأزرق:

شيَّد غازان خان الجامع الأزرق في تبريز(١٢٤). ويُعد هذا الجامع مثالا للعمائر ذات المستوى المعماري الرفيع، في جهات متعددة من بلاد فارس(١٢٥).

وهو من أبدع المساجد، وكان في وسطه قاعة كبرى عليها قُبَّة، وحولها قاعات أصغر حجمًا، وعلى كل منها قبة أقل ارتفاعًا، وفي أحد جوانب القاعة الكبرى ضريح ذو قبة أيضًا، وقد زيّن هذا المسجد بفسيفساء من الخزف غاية في الإبداع والجمال، وفيها اللون الأزرق الناصع والأزرق الأدكن والأسمر والأخضر الأدكن، كما أن فيها بعض الفروع النباتية المذهبة. والحق أن تصميم هذا المسجد الأزرق أكمل تصميم في هذا النوع من المساجد(١٢٦).

رباط سبيل:

أنشأ غازان رباطًا في حدود همذان، في قرية من قُرى شيراز، يُعرف برباط سك، وجعل له من الأوقاف، وشرَط فيه أن يخدم المارَّة بذلك الطريق(١٢٧).

إقامة دور السيادة:

اهتم غازان بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وقرر أن يكون للسادات العلويين أوقاف خاصة بهم، فأمر بإقامة دور السيادة في تبريز، وفي أمهات المدن الأخرى في كل البلاد الهامة مثل أصفهان وشيراز وبغداد والموصل والحلة وأمثالها، كي ينزل فيها السادات. كما عيَّن لهم مرتبات ينفقونها في أداء مصالحهم على النحو الذي رآه محقِّقًا لهذا الغرض، وحسب ما نصت عليه حجج الأوقاف(١٢٨).

النفقات على الأرامل:

يُصرف للأرامل الفقيرات قُطن كل سنة، ليكون لهن رأس مال، على أن تُمنح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن خمسمائة أرملة؛ أربعة أمنان من القطن المحلوج(١٢٩).

أي أن كل واحدة تحصل على حوالي ١٢ كيلوجرامًا من القطن المجهَّز للغزل(١٣٠)، وهذا الكم المحدود سيكون عونًا لهن على الغزل لعمل ملابس ومفروشات شخصية لهن أو لأولادهن، أو سيكون رأس مال أوَّلي تبدأ من خلاله مشروعًا صغيرًا للغزل والبيع.

دور رعاية اللقطاء:

الأطفال اللقطاء الذين يُلقَى بهم في الطريق، يُؤخذون وتُدفع أجور المرضعات وما يحتجن إليه، حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد(١٣١). ولعل هذه الكفالة تعلم المجتمع أن يعالج مشكلاته بنفسه، ولا يترك تلك النفوس التي ألقت بها القلوب القاسية إلى مصير غير معلوم، وقد يؤدي ذلك إلى وفاة هؤلاء الأطفال، وهذا أمر مستبشع، لا يصح وجوده في مجتمع إسلامي.

تعويض الغلمان والجواري:

تُصرف بعض المبالغ من الوقف لتعويض الأواني الفخارية والكيزان التي يكسرها الغلمان والجواري والأطفال في مدينة تبريز، حتى إذا ما أرادت تلك الفئة نقل الماء وانكسرت أوانيهم ويخشون عقاب سادتهم؛ يقوم المتولي بذلك بعوضهم عنها(١٣٢). وهذا عطف زائد على ضعفاء المجتمع وعلى الغارمين.

تنظيف الطرق وإقامة القناطر:

تُدفع أموال لتنظيف الطرق من الأحجار، وإقامة القناطر على النهيرات، ابتداءً من مدينة تبريز إلى مسافة ثمانية فراسخ(١٣٣) من المناطق والجوانب المحيطة بها(١٣٤). ولا شك أن هذا من إماطة الأذى عن الطريق.

نفقات الغرباء والمحتاجين:

يتم تجهيز ودفن الغرباء الذين يموتون في تبريز ولم يكونوا يملكون تركة تفي بدفنهم. ويُشترى ألفان من فراء الكتف المصنوع من فرو الخروف كل سنة، وتُقدَّم للمستحقين(١٣٥).

إطعام الطير:

تُصرف الحبوب التي تلتقطها أنواع الطيور في أشهر الشتاء الستة، عندما تشتد البرودة وينزل الثلج، فيُنثر القمح على الأسطح، ولا يصطاد أحد هذه الطيور(١٣٦).

مرتبات النواب وعمال ديوان أوقاف البر:

كان يدفع للنواب وعمال ديوان البر المسماة (الأوقاف الخاصة) مرتبات، بموجب شرط الوقف، خارج أعمال الولايات والمواضع(١٣٧).

لقد تغيرت الحياة في بلاده سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا وقضائيا وحضاريا، بما عاد بتلك البلاد إلى أفضل مما كانت عليه قبل مجيء المغول إليها. فقد غطَّت إنجازاته كل مدن مملكته وقُراها. وأقيمت الشعائر واتُّبِعَت الآداب في كل أرجاء مملكته.

خاتـمة:

لم يكن عهد غازان خان عهدًا عاديًّا كسابقيه من إيلخانات المغول، فقد كان عهدًا مباركًا، بدأ بإعلان إسلامه وإظهار شعائر الإسلام، وأسلم معه أربعمائة ألف شخص، من المغول وغيرهم.

وقد تولَّى غازان حكم مملكته لمدة أقل من تسعة أعوام، حاول فيها إعادتها إلى ما قبل مجيء أجداده المغول الذين أفسدوا فيها، فعادت أفضل مما كانت عليه، بفضل إخلاصه وتخطيطه واعتماده على وزراء مخلصين.

أسلم غازان بسبب وزيره نوروز، وعلى يد الشيخ صدر الدين إبراهيم بن حمويه الجويني.

وقد شكك بعض المماليك ومؤرخيهم في صدق إسلام غازان وصدق اتباعه، بسبب موقفه العدائي من المماليك، وتقربه من أوربا المسيحية. وقد تبيَّن أنه كان حريصًا على دولته، حيث كان المماليك يفكرون في انتزاع العراق منه، كما كانت مصر ملاذًا للهاربين منه منذ أوائل عهده.

أما عن مظاهر الحياة الإسلامية في عهده؛ فقد عادت تلك الحياة على نحو أفضل مما كانت عليه، فقد أقام الشعائر في سائر أرجاء مملكته.

حين جلس غازان على سرير مملكته أعلن الدين الإسلامي دينًا رسميا للدولة، وأظهر شعائر الإسلام، وعمل على بث روح الأُخُوَّة الإسلامية، وخصوصًا بين الحكام والمحكومين.

جعل غازان اللغة الفارسية؛ إلى جوار التركية؛ لغة رسمية للدولة، واستقل عن دولة المغول، وصك نقودًا جديدة عليها عبارة الشهادتين.

وعملًا بالشريعة الإسلامية ألغى غازان الإقراض بالربا، فاختفى المرابون. وحرم الخمر وجعل على السكارى عقوبة فانضبط المجتمع. كما حاول تفكيك منظومة الدعارة عن طريق منع إكراه الفتيات على البغاء.

أمر غازان ببناء حمَّام ومسجد في كل مدينة وقرية في مملكته، لتُقام شعائر الإسلام في أرجائها.

وأظهر غازان العدل، فحاول تعويض بلاد الفرس من بعض ما خسرته بسبب الجرائم التي اقترفها أسلافه فيها. كما قام بتنظيم القضاء فيها، وجعل له نظاما دقيقا.

كما اعتنى غازان بالحجاج وبأوقاف الحرمين الشريفين.

وقام بنشر العلوم الإسلامية والطبيعية التي تفيد الإنسان. وزيَّن عاصمته بأبنية فخمة، من مساجد ومدارس ومرصد فلكي وغير ذلك.

اعتنى غازان بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، فكان ينفق سنويا على تحفيظ مائة طفل.

اعتنى بالمخطوطات، واكتُشفت مخطوطة كتاب منافع الحيوان لبختيشوع، تمَّت بأمر غازان، وبها ٩٤ صورة، قام بتنفيذها مجموعة من الفنانين.

أنشأ المساجد والخوانق والمدارس، ورصد لها الأوقاف الكافية للصرف عليها. كما شيد الجامع الأزرق في تبريز، فكان مثالًا للعمائر ذات المستوى المعماري الرفيع.

واهتم غازان بعمارة الأربطة، ومنها رباط في قرية من قرى خمذان. كما هتم بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بإقامة دور السيادة في أمهات المدن، لينزل فيها السادات.

عمل على دعم الأرامل، وكفالة اللقطاء، وتجهيز ودفن الغرباء. وكان لكل ذلك أوقاف للإنفاق على أوجه البر والمعروف.

لقد تغيَّرت الحياة في بلاده من كل النواحي، إلى أفضل مما كانت عليه، بحيث ترسخت فيها شعائر الإسلام وآدابه، فكان إسلامه خيرًا وبركة على حياة المسلمين في بلاد فارس.

الهوامش

(١) تاريخ المغول العظام والإيلخانيين. ص٢٦٨.

(٢) النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٢١٢.

(٣) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٤٧.

(٤) تاريخ غازان خان. ص٧٨. تاريخ البناكتي. ص٤٧٨.

(٥) ذيل مرآة الزمان لليونيني. مج١- ص٥١٧. مج٢- ص٦٧٩ و٧٦١ و٧٩٦.

(٦) النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٢١٣. السلوك للمقريزي. جـ١- ص٩٥٦.

(٧) الدرر الكامنة لابن حجر. جـ٣- ص٢١٢.

(٨) المغول للعريني. ص١٤.

(٩) تاريخ غازان خان. ص٣٤٧. ودَرَبَنْد اسم مدينة باب الأبواب. تاج العروس (دربند). وهي الآن من أهم مدن جمهورية داغستان الإسلامية. وانظر: موسوعة المدن الإسلامية. ص٢٩٤.

(١٠) تاريخ الإسلام للذهبي. جـ٥٢- ص٣٧. الدرر الكامنة لابن حجر. جـ٣- ص٢١٤.

(١١) تاريخ إيران بعد الإسلام. ص٤٦٦.

(١٢) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٣.

(١٣) تاريخ إيران بعد الإسلام. ص٤٦٣.

(١٤) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١١.

(١٥) تاريخ غازان خان. ص١٩٥. ذيل مرآة الزمان. مج٢- ص٧٧٠ و٧٧١ و٧٩٦. بدائع الزهور لابن إياس. جـ١- ق١- ص٤١٧. كنز الدرر وجامع الغرر. جـ٩- ص١١٢. النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٢١٣. المختصر في تاريخ البشر. جـ٤- ص٥٠. النهج السديد والدر الفريد. ص٤٣٤. شذرات الذهب. جـ٧- ص١٨. المقتفي على الروضتين للبرزالي. ص٢٦٠.

(١٦) السلوك للمقريزي. جـ١- ص٩٣٨.

(١٧) تاريخ غازان خان. ص١٩٥. تاريخ البناكتي. ص٤٩٦. وانظر الملحق (٢) الذي أوردنا فيه خطبة ووصية له.

(١٨) تاريخ البناكتي. ص٤٩٦.

(١٩) تاريخ غازان خان. ص٢٠٢ و٢٠٣.

(٢٠) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص١٩١.

(٢١) زبدة الفكرة. ص٣٠٨. موسوعة تاريخ إيران السياسي. جـ٢- ص٣٠٣ (وفيها أن فترة حكمه ستة أشهر).

(٢٢) المقتفي للبرزالي جـ١- ق٢- ص٤١٥. النجوم الزاهرة جـ٨- ص٧١.

(٢٣) تاريخ غازان خان. ص١٢٤.

(٢٤) المقتفي للبرزالي. جـ١- ق٢- ص٤١٥. البداية والنهاية. جـ١٧- ص٦٧٦. تلفيق الأخبار. جـ١- ص٣٦٢.

(٢٥) نظم المغول الاجتماعية. ص١١٨.

(٢٦) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٤٧.

(٢٧) تاريخ غازان خان. ص١٢٣.

(٢٨) تاريخ غازان خان. ص١٢٣. وانظر ترجمة الشيخ صدر الدين بن حمويه؛ في: تاريخ حوادث الزمان. جـ١- ص٢٥٤.

(٢٩) تاريخ بناكتي. ص٤٨٢. السلوك للمقريزي. جـ١- ص٨٠٥. الدرر الكامنة. جـ٣- ص٢١٢. وقد روى الشيخ صدر الدين بن حمويه قصة إسلام غازان، وتوجد روايته في: تاريخ حوادث الزمان. جـ١- ص٢٥٤ و٢٥٦.

(٣٠) تاريخ غازان خان. ص١٢٨ و١٢٩.

(٣١) الدرر الكامنة لابن حجر. جـ٣- ص٢١٣.

(٣٢) الحياة السياسية في العراق. ص٢٩٣.

(٣٣) البداية والنهاية. جـ١٧- ص٧٠١.

(٣٤) زبدة الفكرة. ص٣١٨ و٣١٩. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول. ص١٣٦.

(٣٥) مغول إيران بين السنة والشيعة. ص٢٠١.

(٣٦) هو أمير التتر الكبير، ومقدم التتار يوم شقحب. وقد قُتل بصحراء جيلان سنة ٧٠٧هـ. وانظر: الدليل الشافي. جـ٢- ص٥٤٧. البداية والنهاية. جـ١٨- ص٧٢ و٧٣.

(٣٧) زبدة الفكرة. ص٣١٨ و٣١٩. عقد الجمان للعيني (عصر سلاطين المماليك. جـ٣- ص٤٢٠.

(٣٨) تاريخ إيران بعد الإسلام. ص٤٦٢.

(٣٩) انظر بحث: الصراع بين الإسلام والوثنية- باعامر. ص١٩.

(٤٠) الدليل الشافي على المنهل الصافي. جـ٢- ص٥١٧.

(٤١) العويراتية، أو: الأويراتية: قبائل من أصل مغولي، كانوا قد قدَّموا الخضوع والطاعة لجنكيز خان، وصاهرهم. وانظر: المغول في التاريخ. ص٢٩.

(٤٢) السلوك للمقريزي. جـ١- ٨١٢. البداية والنهاية. جـ١٧- ص٦٨٣.

(٤٣) زبدة الفكرة. ص٣٠٩ و٣١٠. سياسة المغول الإيلخانيين. ص٣٤ و٣٥.

(٤٤) الدرر الكامنة. جـ٣- ص٢١٤.

(٤٥) ذيل مرآة الزمان. مج١- ص٢٦٢ و٢٦٣. نهاية الأرب للنويري. جـ٣١- ص٣٩٠. المقفى الكبير للمقريزي. جـ٧- ١٧٠. الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين. ص٢٩٢.

(٤٦) ذيل مرآة الزمان. مج١- ص٢٦٦- ٣١٨. نهاية الأرب للنويري. جـ٣١- ص٤٠١.

(٤٧) كنز الدرر وج امع الغرر. جـ٩- ص٥٣- ٥٦. نهاية الأرب- جـ٣١- ص٤٤٠. صبح الأعشى للقلقشندي. جـ٧- ص٢٤٩.

(٤٨) انظر رسالة غازان والرد عليها في: ذيل مرآة الزمان. مج١- ص٤٦٦- ٤٧٢. وانظر أيضا: ص٥٢٤- ٥٢٨. نهاية الأرب جـ٣١- ص٤٢٦- ٤٤١. صبح الأعشى للقلقشندي. جـ٧- ص٢٤٣- ٢٥٠.

(٤٩) نهاية الأرب. جـ٣٢- ص٢٠.

(٥٠) انظر رسالة غازان إلى الملك الناصر؛ في: زبدة الفكرة. ص٣٥٢ و٣٥٣. ورسالة الناصر لغازان ص٣٥٦- ٣٦١.

(٥١) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٥٧.

(٥٢) تاريخ المغول العظام والإيلخانيين. ص٢٨٢.

(٥٣) المغول للعريني. ص٣٢١.

(٥٤) وانظر تفاصيل هذه الوقعة وما قيل فيها من نثر وشعر، في: ذيل مرآة الزمان. مج٢- ص٦٨٧- ٧١٣. نهاية الأرب. جـ٣٢- ص٣٠- ٥٨. تذكرة النبيه. جـ١- ص٢٤٥. تاريخ ابن خلدون. جـ٥- ص٤٧٨ و٤٧٩.

(٥٥) نهاية الأرب. جـ٣٢- ص٧٧ و٧٨.

(٥٦) البداية والنهاية. جـ١٧- ص٦٧٦.

(٥٧) العلاقات السياسية بين المماليك. ص١٣٦.

(٥٨) مخطوطة تاريخ الأزمنة. ص٢٣٢ و٢٣٣.

(٥٩) النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٦٠. تاريخ حوادث الزمان. جـ١- ص٢٨٦- ٢٨٨.

(٦٠) كنز الدرر وجامع الغرر. جـ٨- ص٣٧٦. ذيل مرآة الزمان. ص١٧٨ و١٧٩ و١٨١. بدائع الزهور لابن إياس. جـ١- ق١- ص٣٩٧. النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٩٦- ٩٨. البداية والنهاية. جـ١٧- ص٧٠٨ و٧٠٩.

ويروى أن قفجق كان معه كتاب من غازان إليه وهو ذاهب إلى غازان، وأنه أخرجه لأصحابه. بل يقال إن أبا قفجق كان يومئذٍ حيًّا، وإنه أحد سلاح دارية غازان، وكذلك إخوته؛ فإنهم كبار التتر ومقدميهم. وانظر: تاريخ حوادث الزمان. جـ١- ص٤٢٨.

(٦١) الحوادث الجامعة. ص٣٣٦.

(٦٢) العلاقات السياسية بين المماليك والمغول. ص١٣٨.

(٦٣) بدائع الزهور. جـ١- ق١- ص٤٠٣- ٤٠٥. المقفى الكبير للمقريزي. جـ٧- ١٧٣. وانظر فرمان غازان بتولية الأمير قفجق على الشام؛ في: زبدة الفكرة. ص٣٤٠ و٣٤١.

(٦٤) العلاقات السياسية بين المماليك والمغول. ص١٤٢.

(٦٥) بدائع الزهور. جـ١- ق١- ص٤٠٥ و٤٠٦. تذكرة النبيه. جـ١- ص٢٢٣. إعلام الورى. ق٢- ص١٠ و١١. وقصة فرار قفجق يسميها ابن خلدون (فتنة التتر)، وانظر: تاريخ ابن خلدون. جـ٥- ص٤٧٢.

(٦٦) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٥٤.

(٦٧) تاريخ حوادث الزمان. جـ١- ص٤٣٨.

(٦٨) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٤.

(٦٩) تلفيق الأخبار. جـ١- ص٣٦٢.

(٧٠) دراسات في تاريخ دولة المماليك. ص١٤٧ و١٥٩.

(٧١) الدولة الخوارزمية والمغول. ص٢٩١.

(٧٢) العالم الإسلامي في العصر المغولي. ص٧٢.

(٧٣) تاريخ غازان خان. ص١٢٢.

(٧٤) السابق. ص٢٢٥.

(٧٥) النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٥٩.

(٧٦) تاريخ غازان خان. ص١٤٩.

(٧٧) موسوعة تاريخ إيران السياسي. جـ٢- ص٣٠٤.

(٧٨) السلوك للمقريزي. جـ١- ص٨٩١.

(٧٩) الدرر الكامنة. جـ٣- ص٢١٢. تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص١٩٢.

(٨٠) تاريخ غازان خان. ص١٢٤.

(٨١) تاريخ المغول العظام والإيلخانيين. ص٢٦٧ و٢٦٨.

(٨٢) تاريخ غازان خان. ص١٧٤. وانظر الخطبة في الملحق (١).

(٨٣) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص١٩٢.

(٨٤) موسوعة تاريخ إيران السياسي. جـ٢- ص٣٠٤.

(٨٥) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٥٩ و١٦٠. تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٢.

(٨٦) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٣ و٢١٤.

(٨٧) السابق. ص٢١٢.

(٨٨) درهم نادر للإيلخان غازان محمود. ص١٥٧.

(٨٩) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٥٩.

(٩٠) الحياة السياسية في العراق. ص٢٩٥.

(٩١) موسوعة تاريخ إيران السياسي. جـ٢- ص٣٠٤.

(٩٢) مغول إيران بين السنة والشيعة. ص٢٠٠.

(٩٣) أثر العقيدة الإسلامية على نقود دولة المغول. ص٤٦ و٤٧.

(٩٤) تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٣٩١.

(٩٥) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٢ و٢١٣.

(٩٦) تاريخ غازان خان. ص٣٥٥.

(٩٧) تاريخ إيران بعد الإسلام. ص٤٧٠.

(٩٨) تاريخ غازان خان- ص٣٦٤.

(٩٩) مقدمة كتاب تاريخ غازان خان. ص٦٦.

(١٠٠) تاريخ غازان خان. ص٣٦٣.

(١٠١) النجوم الزاهرة. جـ٨- ص٢١٣.

(١٠٢) البداية والنهاية. جـ١٧- ص٦٧٦.

(١٠٣) العالم الإسلامي في العصر المغولي. ص٧٣.

(١٠٤) تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٣٩١ و٣٩٢.

(١٠٥) سورة النحل: الآية ٩٠.

(١٠٦) سورة ص: الآية ٢٦.

(١٠٧) تاريخ غازان خان. ص٢٩٣ و٢٩٤.

(١٠٨) السابق. ص٢١٩ و٢٢١.

(١٠٩) تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٣٩٢.

(١١٠) هي كلمة مغولية تعني مرسوم ملكي، أو مجموعة من القوانين وضعها جنكيز خان. وتأتي اللفظة عند المؤرخين بأشكال مختلفة: (الياسا- الياساه- الياسه- الياساق- اليسق- الآسه). وانظر: ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي. ص١٣٢١.

(١١١) تاريخ الدولة المغولية في إيران. ص٢١٣.

(١١٢) تاريخ غازان خان. ص١٨٦.

(١١٣) السابق. ص٢٥٣.

(١١٤) السابق. ص٢٢٧.

(١١٥) السابق. ص٢٥٢.

(١١٦) دراسات في تاريخ المماليك. ص١٥٩.

(١١٧) تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٣٩١. موسوعة تاريخ إيران السياسي. جـ٢- ص٣٠٥.

(١١٨) تاريخ غازان خان. ص٢٤٩.

(١١٩) الفنون الإسلامية م. س. ديماند. ص٤٦.

(١٢٠) فنون الإسلام. ص١٧٣. الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي. ص٧١.

(١٢١) تاريخ غازان خان. ص٢٢٧.

(١٢٢) السابق. ص٢٥٠.

(١٢٣) تاريخ الدول الإسلامية في الشرق. ص٥٦.

(١٢٤) الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي. ص٣٠٩.

(١٢٥) العمارة العربية الإسلامية. ص١٣٠.

(١٢٦) فنون الإسلام. ص١٠٤– ١٠٧.

(١٢٧) تاريخ الدول الإسلامية في الشرق. ص٥٦. تاريخ العراق بين احتلالين. ص٣٩٩.

(١٢٨) تاريخ غازان خان. ص٢٢٧. تاريخ الدول الإسلامية في الشرق. ص٥٦.

(١٢٩) تاريخ غازان خان. ص٢٥٠.

(١٣٠) المكاييل والأوزان الإسلامية. ص٧٧.

(١٣١) تاريخ غازان خان. ص٢٤٩.

(١٣٢) المصدر السابق. ص٢٥٠.

(١٣٣) الفرسخ: لفظ معرَّب، وهو مقياس من مقاييس المسافات قديمًا، مقداره ثلاثة أميال، والأميال الثلاثة تساوي اثني عشر ألف ذراع، وهي تساوي (5598.75) مترًا. وانظر: معجم لغة الفقهاء. ص٣١١.

(١٣٤) تاريخ غازان خان. ص٢٥٠.

(١٣٥) المصدر السابق. ص٢٤٩.

(١٣٦) السابق. ص٢٥٠.

(١٣٧) تاريخ غازان خان. ص٢٥٠.

المصادر والمراجع

المصادر:

١- إعلام الورى بمن ولي نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى- لابن طولون الصالحي- تحقيق: عبد العظيم حامد خطاب- مطبعة جامعة عين شمس- القاهرة ١٩٧٣م.

٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور- لابن إياس الحنفي- تحقيق: محمد مصطفى- ط/١- المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣- البداية والنهاية- لابن كثير- تحقيق: د. عبد الله التركي؛ بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر- ط/١- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- القاهرة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤- تاج العروس- للزبيدي- تحقيق: مجموعة من الأساتذة المحققين- مطبعة حكومة الكويت.

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- للذهبي- تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري- ط/١- دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

= تاريخ البناكتي= روضة أولي الألباب

٦- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه؛ المعروف بتاريخ ابن الجزري- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري- تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري- ط/١- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧- تاريخ ابن خلدون؛ المسمَّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- عبد الرحمن بن خلدون- الضبط والحواشي والفهارس: خليل شحادة- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٨- تاريخ الدول الإسلامية في الشرق- عبد الله بن فتح الله البغدادي؛ المعروف بالغياثي- دراسة وتحقيق: طارق نافع الحمداني- ط/١- دار ومكتبة الهلال- بيروت ٢٠١٠م.

= تاريخ غازان خان= جامع التواريخ

٩- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه- للحسن بن عمر بن حبيب الحلبي- تحقيق: د. محمد محمد أمين- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٩٧٦م.

١٠- جامع التواريخ: تاريخ غازان خان- تأليف: رشيد الدين فضل الله الهمذاني- دراسة وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي الصياد- ط/١- الدار الثقافية للنشر- القاهرة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١١- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة- لابن الفوطي- تحقيق: مهدي النجم- ط/١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- لابن حجر العسقلاني- دار الجيل- بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٣- الدليل الشافي على المنهل الصافي- لابن تغري بردي- تحقيق: فهيم محمد شلتوت- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى- مكة المكرمة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٤- ذيل مرآة الزمان- قطب الدين اليونيني- تحقيق: د. حمزة أحمد عباس- المجمع الثقافي- أبو ظبي ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
١٥- روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب؛ المشهور بتاريخ البناكتي- لأبي سليمان البناكتي- ترجمة وتقديم: محمود عبد الكريم علي- ط/١- المركز القومي للترجمة- القاهرة ٢٠٠٧م.
١٦- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة- بيبرس المنصوري الدوادار- تحقيق: دونالد س. ريتشاردز- ط/١- المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت ١٩٩٨م.
١٧- السلوك لمعرفة دول الملوك- للمقريزي- تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م.
١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- لابن العماد الحنبلي الدمشقي- حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط- ط/١- دار ابن كثير- دمشق، بيروت ١٤٢٣هـ- ١٩٩٢م.
١٩- صبح الأعشى- لأبي العباس القلقشندي- (طبعة مصورة عن نسخة المطبعة الأميرية- القاهرة ١٣٣٣هـ- ١٩١٥م)- دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م.
٢٠- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك)- بدر الدين العيني- تحقيق: د. محمد محمد أمين- مطبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٢١- كنز الدرر وجامع الغرر- لابن أيبك الدوادار- تحقيق: بيرند رتكه- المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٢- المختصر في أخبار البشر- تأليف عماد الدين إسماعيل أبي الفدا- ط/١- المطبعة الحسينية المصرية- القاهرة ١٣٢٥هـ.
٢٣- مخطوطة تاريخ الأزمنة- جريجوريوس أبو الفرج؛ المعروف بابن العبري- ترجمة ودراسة وتقديم: شادية توفيق حافظ- المجلس القومي للترجمة- القاهرة ٢٠٠٧م.

٢٤- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- لابن فضل الله العمري- تحقيق: مهدي النجم- أشرف على تحقيق الموسوعة: د. كامل سلمان الجبوري- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٥- المقتفي على كتاب الروضتين؛ المعروف بتاريخ البرزالي- علم الدين البرزالي- تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري- ط/١- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٦- المقفى الكبير- تقي الدين المقريزي- تحقيق: محمد اليعلاوي- ط/١- دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٢٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- لابن تغري بردي- ط/١- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٤٨هـ- ١٩٢٩م.
٢٨- نهاية الأرب في فنون الأدب- شهاب الدين النويري- ط/٣- مطبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٢٩- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد- لابن العسال مفضل بن أبي الفضائل- تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين- ط/١- دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

المراجع:

٣٠- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية- عباس إقبال- نقله عن الفارسية وقدَّم له وعلق عليه: د. محمد علاء الدين منصور- دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة ١٩٨٩م.
٣١- تاريخ الدولة المغولية في إيران- د. عبد السلام عبد العزيز فهمي- دار المعارف- القاهرة ١٩٨١م.
٣٢- تاريخ الشعوب الإسلامية- كارل بروكلمان- نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي- ط/٥- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٦٨م.
٣٣- تاريخ العراق بين احتلالين (١) حكومة المغول- عباس العزاوي- مطبعة بغداد ١٣٥٣هـ- ١٩٣٥م.
٣٤- تاريخ المغول العظام والإيلخانيين- د. محمد سهيل طقوش-ط/١- دار النفائس- بيروت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٣٥- تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية- عباس إقبال- ترجمة: د. عبد الوهاب علوب- المجمع الثقافي- أبو ظبي ٢٠٠٠م.

٣٦- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار- م. م. الرمزي- تقديم: إبراهيم شمس الدين- ط/١- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٣٧- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية- د. محمد صالح القزاز- مطبعة القضاء- النجف الأشرف- العراق ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٣٨- دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص- د. علي إبراهيم حسن- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٤٤م.
٣٩- الدولة الخوارزمية والمغول: غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية- حافظ أحمد حمدي- دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٤٩م.
٤٠- سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام- د. صبحي عبد المنعم محمد- ط/١- العربي للنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٠م.
٤١- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أبناء هولاكو خان)- د. فؤاد عبد المعطي الصياد- منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية- جامعة قطر ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٤٢- العالم الإسلامي في العصر المغولي- برتولد شبولر- ترجمة: خالد أسعد عيسى- ط/١- دار حسان- دمشق ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٣- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى- د. فايد حماد عاشور- دار المعارف- القاهرة ١٩٧٦م.
٤٤- العمارة العربية الإسلامية؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها- د. فريد محمود شافعي- ط/١- عمادة جامعة الملك سعود- الرياض ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٥- الفرس: إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة- هوما كاتوزيان- ترجمة: أحمد حسن المعيني- ط/١- جداول للنشر والترجمة والتوزيع- بيروت ٢٠١٤م.
٤٦- فنون الإسلام- د. زكي محمد حسن- ط/١- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٤٨م.
٤٧- الفنون الإسلامية- م. س. ديماند- ترجمة: أحمد محمد عيسى- ط/٣- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٢م.
٤٨- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي- د. زكي محمد حسن- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٩٤٠م.
٤٩- معجم لغة الفقهاء (عربي إنجليزي فرنسي)- د. محمد رواس قلعجي- ط/١- دار النفائس للطباعة

والنشر والتوزيع- بيروت ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٥٠- المغول- د. السيد الباز العريني- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت ١٩٨١م.
٥١- المغول في التاريخ- د. فؤاد عبد المعطي الصياد- دار النهضة العربية- بيروت ١٩٨٠.
٥٢- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري- فالتر هنتس- ترجمة: د. كامل العسلي- ط/١- منشورات الجامعة الأردنية- عمَّان ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٥٣- موسوعة تاريخ الأديان (الكتاب الأول): الشعوب البدائية والعصر الحجري- تحرير: فراس السواح- ترجمة: مجموعة من المترجمين- ط/٤- دار التكوين- دمشق ٢٠١٧م.
٥٤- موسوعة تاريخ إيران السياسي من قيام الدولة الصفارية إلى قيام الدولة الصفوية- د. حسن كريم الجاف- ط/١- الدار العربية للموسوعات- بيروت ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
٥٥- موسوعة المدن الإسلامية- إعداد: آمنة أبو حجر- ط/٢- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمَّان- الأردن ٢٠١٠م.
٥٦- نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)- إيمان طلعت الدباغ- دار غيداء للنشر والتوزيع- عمَّان- ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

الدوريات:

٥٧- أثر العقيدة الإسلامية على نقود دولة إيلخانات المغول في العراق وإيران (٦٥٤- ٧٥٨هـ/ ١٢٥٦- ١٣٥٧م)- د. عاطف منصور رمضان- بحث بالمؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية: الماضي والحاضر- رابطة الجامعات الإسلامية- القاهرة ٢٠٠٧م.
٥٨- ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي- رائد عبد الرحيم- مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)- مج ٢٢ (٤)- ٢٠٠٨م.
٥٩- درهم نادر للإيلخان غازان محمود (٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤- ١٣٠٣م)- يونس شديفات- مؤتة للبحوث والدراسات- مج٢١- ع٦- جامعة مؤتة- الأردن ٢٠٠٦م.
٦٠- الصراع بين الإسلام والوثنية في إيلخانية مغول إيران على عهدي تكودار خان وأرغون خان (٦٨١- ٦٩٠هـ/ ١٢٨٢- ١٢٩١م)- محمد سالم بكر باعامر- مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية- م١٥- ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٦١- مغول إيران بين السنة والشيعة في عهد غازان ٦٩٤- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤- ١٣٠٣م- عبد النبيل براني- مجلة البحوث والدراسات الإنسانية *جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥- سكيكدة*- الجزائر. ع١٧-

٢٠١٨م.

الملحق (١)

خطبة غازان خان في افتتاح حفل بمدينة أوجان

إنني أنا العبد الضعيف؛ أعترف وأقر بالعجز والقصور وكثرة الذنوب، وبأني لستُ جديرًا بهذا العطاء، ولا لائقًا لهذه الموهبة، غير أن فيض الرحمة والرأفة الإلهية وآثار لطف وكرم البارئ؛ عز وعلا؛ عظيمة في حق عباده إلى أقصى حد. ولا شك أن نِعَمَهُ مِن الكثرة بحيث لا يستطيع ابن آدم؛ ولا جميع الخلائق؛ أن يوفوها حقها من الشكر، ولستُ غافلًا عن أن شكرها واجب ولازم بمائة ألف لسان، إذ إن الله– فضلًا وإحسانًا منه– قد أدخَلَ جميع خلائق إيران؛ الذين هم ودائع الحضرة الإلهية؛ في دائرة طاعتي. ولستُ أُخدَعُ بغرور الملك السريع الزوال، والذي انتُزع من عدَّة آلاف من الأشخاص. ومن بين أصناف النعم التي منَّ الله بها علَيَّ أنه منحني ما لم يمنحه الملوك الآخرين. وقد حقق لي آمال أسلافي. وإن أفضلها أن عباده قد أمِنُوا بطْشي، وهم راضون بحكمي وراغبون فيه.

وبناءً على هذه المعاني والمقدمات؛ لم أشأ أن أدخل هذا السرادق والمخيَّم بالجاه والجبروت. وينبغي في هذا الزمان أن نؤدي شكر هذه النعمة العظمى نحن وأنتم؛ أي الحاكم والمحكومون؛ وذلك يكون بالتضامن، ودون نفاق ورياء، ونطلب من الله غفران ذنوبنا مخلصين متضرعين.

والآن نبدأ حفلنا بتلاوة القرآن الكريم، ونؤدي الطاعة والعبادة، ثم نشتغل باللهو والطرب.

(تاريخ غازان خان. ص١٧٥)

الملحق (٢)

خطبة ووصية لغازان خان حين اقترب موته

استدعى السطان غازان كل خواتين الدولة وأركانها والأمراء العظام وصاحبي الديوان وغيرهم من المقربين، وقال لهم:

تأكَّدَ لنا أننا راحلون عن دار الفناء إلى دار البقاء. وكان كل هَمِّنا في الحكم الفاني في الأيام القليلة التي قضيناها فيه أن نُجْري العدل والإنصاف اللذَيْنِ لا يقوم الملك بدونهما، وألا ندع مجالًا لظلم الظالمين الذي يجب دفعُه شرعًا وعقلًا، وأن نعمل على تقوية دين سيد المرسلين وخاتم النبيين. وطوال مدة حكمنا التي استمرت ثماني سنوات وعدة أشهر استطعنا بعون من الله تعالى أن نطبق بعضًا منها، كالحكم بالعدل وقمع المتمردين على الدين والدولة، وسن القوانين العادلة، ورفع المظالم والبدع. وكنا نود أن نواصل ذلك لولا أن العُمر لم يسمح ولم يمهلنا الأجل، فحملناها معنا في ثنايا صدورنا. والآن عليكم من بعدنا ألا تزيغوا عن النهج، وأن تُوَلُّوا عليكم شقيقي ملك العالم خداي بنده محمد؛ الذي لا يزيد عمره عن الثالثة أو الرابعة [والعشرين](*)، فقد أوليناه ولاية العهد، فأطيعوه وانصاعوا لأمره، ولا تحيدوا عما استَنَنْتُ من قواعد وسنن، ولا تُحْدِثُوا البدع. واعملوا على تثبيت الصدقات والأوقاف التي أجريناها والعمارات التي بنيناها. وإن حالفَكُمْ توفيق السماء فلا تسمحوا بالتقصير أو الإهمال في أداء الواجب.

(تاريخ المغول لعباس إقبال. ص٢٨٦. نقلا عن: تاريخ وصاف).

(*) أضفتُ هذه اللفظة ليستقيم الكلام، فقد كان أخوه في الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين.